مجلة بحوث جامعة تعز – العدد (١) – ص (٢٨-٥٩) ١٩٩٨م

القراءات الشاذة والمعنى

د. علي محمد المخلافي

كلية الآداب

ملخـــــص

هذا بحث يتناول قسماً كبيراً من القراءات التي أهملها القراء بحجة الشذوذ عن مـــا عرف بالقراءات المتواترة .

وقد كان غرض الباحث تحريرمعنى الشذوذ في القراءات وأن معناه ليس الخروج من المألوف وإنما هو معنى عدم وقوع القراءات ضمن القراءات التي اختارها ابن مجـــاهد وعددها سبع قراءات فالوصف بالشذوذ لا يعني عدم صحة تلك القراءات ، إنما عدم اندراجها في القراءات التي اختارها بعض القراء المشهورين أما الغرض الثاني فقد كان محاولة معرفة مدى اختلاف المعنى بين القراءات الصحيحة والشـــاذة وهـــل وقـــع اختلاف بين النوعين وصل إلى حد تضاد المعاني وقد اتضح من خلال البحـــث أن العلاقات الدلالية بين القراءات الصحيحة والشاذة علاقات متصلة يمكن أن تعود إلى أصول دلالية واحدة . وقد كان الغرض الثالث من هذا البحث هو توضيـــح مـــدى إمكانية استفادة البحث اللغوي من هذه القراءات وإثراء الدراسات اللغوية العربيـــة الحديثة بمادة غنية في مستويات البحث الصوتية والمورفولوجية والنحوية .

يشيع بين علماء القراءات القرآنية مصطلحا (التواتر والشذوذ) ويطلقـــون علـــى قسم من القراءات (القراءات المتواترة) وعلى قسم آخر منها (القراءات الشاذة) . وهم يقصدون بالقراءات المتواترة كل قراءة تواتر نقلها. جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهـــم على الكذب من البداية إلى المنتهى (الإتحاف /١/ ٧١) ووافقت العربية مطلقـــاً ووافقـــت كذلك أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا (انظر مباحث في علوم القرآن /١٧٦) فكل قراءة توفرت فيها الشروط السابقة هي قراءة متواترة صحيحة .

وقد اشتهر جماعة من القراء بأصحاب القراءات المتواترة وهم : أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـــ) وابن كثير (ت١٢٠هـــ ونافع المدني (ت١٦٩هـــ) وابن عامر الشامي

ورد هذا البحث للنشر في ٩٨/٣/١م. – قبل للنشر في ٩٨/٤/٣م

(ت ١١٨هـ) وعاصم الكوفي (ت١٢٨هـ) وحمزة الكوفي (ت١٥٦هـ) والكسائي الكوفي (ت١٨٩هـ).

هؤلاء هم القراء السبعة المشهورون بالضبط والأمانة وهم الذين جعلت قراءاتهم قراءات متواترة (انظر النشر/ ٣٨/١).

وبعضهم أضاف ثلاثة آخرين هم :

أبو جعفر المدني (ت١٢٧ هـ)، و يعقوب الحضرمي (ت٢٠٥ هـ) خلف البغدادي (٢٢٩هـ).

على أن النص على هؤلاء القراء لا يعني أن ما صح وتواتر من القراءات محصور فيهم؛ فقد نص العلماء على أن كل قراءة توفرت فيها الشروط السابقة ؛ وهي صحة السند وموافقة العربية ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية هي قراءة صحيحة سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين (النشر ٩/١) غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى مانقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم (النشر /١٠/١) .

أما القراءات الشاذة فإنها تطلق على كل قراءة اختل فيها شرط من شروط الصحة (صحة السند وموافقة العربية ولو بوجه وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً). فما فقد من القراءات القرآنية شرطاً من تلك الشروط أو الشروط أجمعها فإنه يندرج في إطار الشاذ من القراءات.

وكما اشتهر فريق من القراء بالقراءات المتواترة فإن جماعة كثيرين اشتهروا بالقراءات الشاذة ومن هؤلاء:

-الحسن البصري ،وابن محيصن ، ويحي بن المبارك اليزيدي ، وسليمان بن مهران الأسدى

المعروف بالأعمش ، وعبد الله بن مسعود ،وعبد الله بن الزبير وابن مقسم وابن شنبوذ وآخرون (انظر/ المحتسب لابن جنى فهرس الأعلام).

ولقد رتب العلماء على شذوذ القراءة أحكاما مهمة ، ومن ذلك عدم جواز القراءة بالشاذ في الصلاة ولا في غيرها. قال النووي في شرحه المهذب : لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة لأنها ليست قرآناً ؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر. والقراءة الشاذة، ومن قال غيره فغالط أو جاهل فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءته في الصلاة وغيرها.

وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ . ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشواذ ولا يصلى خلف من يقرأ بها ((مباحث في علوم القرآن /١٧٩) أما حكم العمل بالقراءة الشاذة واستنباط الأحكام الشرعية منها فالجمهور على صحة ذلك تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد ، وقد احتج العلماء بها في أحكام كثيرة كما في قطع يمين السارق مستدلين على ذلك بقراءة ابن مسعود ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما)) المائدة ٣٨

واحتج الحنفية على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود ((فصيام ثلاثة أيام متتابعات)) المائدة ٨٨ . قال السيوطي : ولم يحتج به أصحابنا لثبوت نسخها (الإتقان ٢٨/١) (و انظر محاضرات في القرآن وعلومه د. طارق نجم عبد الله ص٤١) .

ونظراً لأن استنباط الأحكام من الأمور المهمة في حياة الناس ، فإن ذلك يعني أن القراءات الشاذة ذات أثر جليل؛ إذ عن طريقها تُستقى بعضُ الأحكام المتعلقة بتصرفات البشر مما يعني ضرورة النظر في هذه القراءات لمعرفة مدى الاختلاف بينها وبين القراءات الصحيحة وأسباب ذلك الاختلاف وما يمكن أن نفيد منها في المسألة اللغوية وهو ما نبه إليه

ابن جني في مقدمة كتابه المحتسب حيث قال : وضربا تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها ، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه .. وربما كان فيه ما تلطف صنعته وتعنف بغيره فصاحته وتمطوه قوى أسبابه وترسو به قدم إعرابه .. غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه لئلا يُرى مُرى أن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له وشدد على ضرورة العناية بالشاذ نظراً لأهميته العلمية وقد كان ذلك هو الدافع الذي حفزنا إلى هذا البحث.

ولأن قضية القراءات القرآنية قضية توقيفية لا تتيح الإدلاء بآراء حول مصدرها فإننا لن نعرض للمسألة في هذا البحث من وجهة نظر دينية(أنظر النشر ٢١/١)وإنما هي وجهة نظر لغوية بحتة تستقرى أوجه الاختلاف بين الشاذ والصحيح من القراءات من زاوية لغوية لمعرفة نوع الاختلاف ودرجته الدلالية ، وما قد ترتب على ذلك الاختلاف وبخاصة إذا أدى إلى اختلاف في المعنى.

وقد أجمل بعض علماء القراءات القرآنية أوجه اختلافها في النواحي الآتية:

١) الاختلاف في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها نحو (هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم وأطهَرَ ، وميسَرة وميسُرة) .

٢) الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما لا يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو (ربَّنا باعِدْ ،ربُنا باعَدَ ، بعد أمة ، بعد أمَه) .

٣) الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو (ننشرها،ننشزها) .

٤)الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها نحو (طلع نضيد ، وطلح منضود) .

٥) الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو (إلا زقية، وإلا صيحة) (كالعهن المنفوش وكالصوف).

٦) الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو (وجاءت سكرة الحق بالموت).

٧) الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو (وما عملت أيديهم، وما عملته أيديهم)، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى) (النشر/١ / ٢٩).

ويشمل هذا الاختلاف القراءات جميعها سواء منها الصحيحة أم الشاذة، وقد يكون بين القراءات الصحيحة فتختلف قراءتان صحيحتان فأكثر في وجه من الوجوه السابقة ،وقد يكون بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة، وحينئذ يقع الاختلاف بينها في وجه أو أكثر من تلك الأوجه، وما نُعنى به هنا هو النوع الثاني المتصل بالاختلاف بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة.

ويجد المتتبع لما عرف بالشاذ من القراءات أنه يمثل كماً كبيراً يصعب حصره (انظر مقدمة المحتسب)، ويدل على ذلك كثرة المؤلفات في الشاذ التي ظهرت عند القدماء ومن أشهرها:-

١) المحتسب في تبين شواذ القراءات الصحيحة والإفصاح عنها لابن جني.

٢)مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه.

٣) شواذ القراءات واختلاف المصاحف للكرماني، إضافة إلى ذلك ما ذكر من هذه القراءات في كتب التفسير كتفسير البحر المحيط لأبي حيان وفتح القدير للشوكاني، وكتب إعراب القرآن وكذلك ما أورده صاحب كتاب إتحاف فضلاء البشر من قراءات القراء الأربعة بعد العشرة الذين اعتبرت قراءاتهم قراءات شاذة وما تفرق في كتب النحو من الشواهد المختلفة.

لذلك كنا قد عمدنا في هذا البحث إلى المحتسب لابن جني وهو مجلدان،

والمختصر من كتاب البديع لابن خالويه وهما من أمهات المصـــادر في هـــذا الموضـــوع،، واكتفيت بهما لأن مادتهما يظهر فيها جميع الأوجه التي وقع فيها الاختلافات القرائية بـــين الصحيح والشاذ.

لقد أظهر التتبع الذي قمنا به لمعرفة أوجه الاختلاف بين القراءات الشـــاذة والقـــراءات الصحيحة أن الاختلافات قد ظهرت على النحو الآتي:

١) اختلافات في الأصوات :

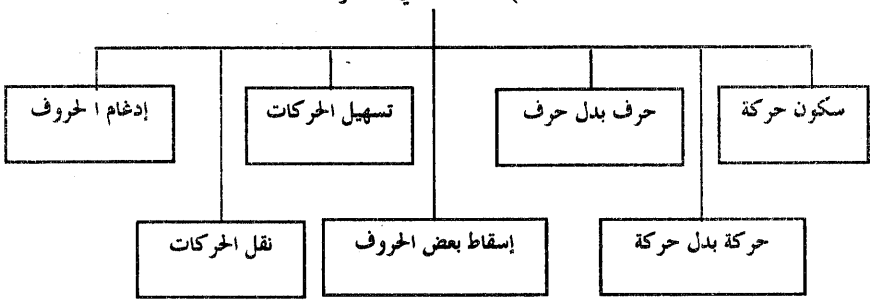

٢ اختلافات نحوية وصرفية

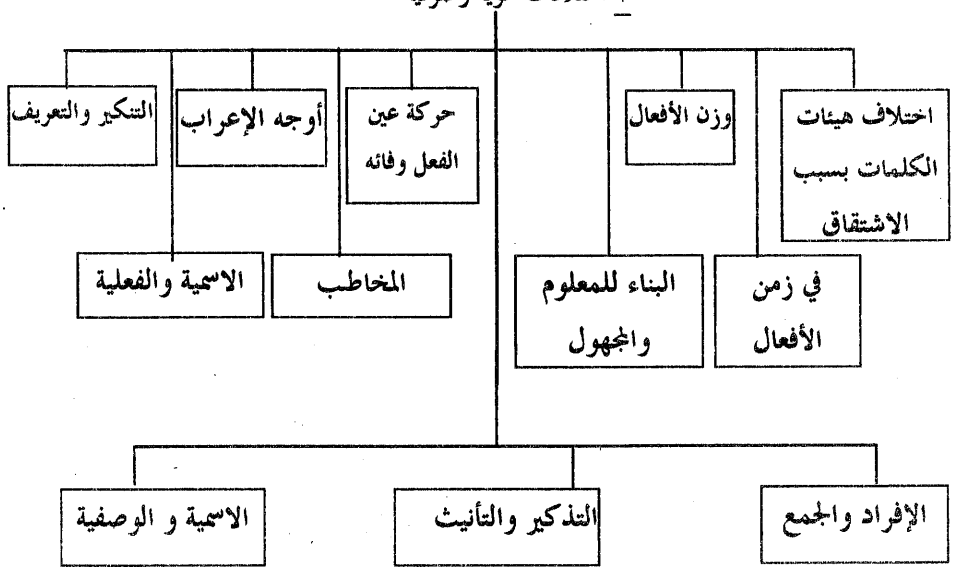

٣) اختلافات في المعجم

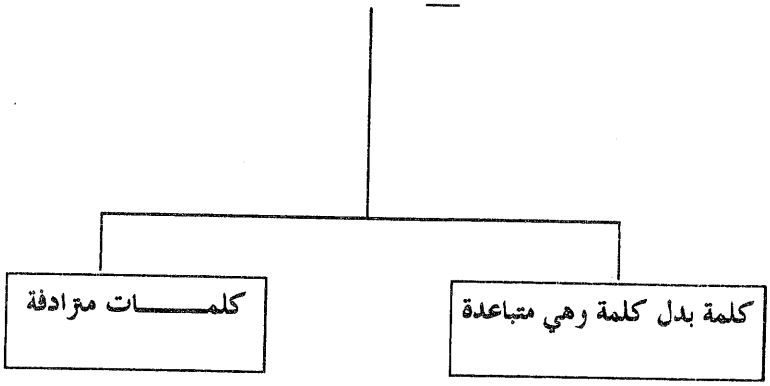

٤) اختلاف في التقديـــم والتأخير.

٥) اختلاف في الزيادة والنقص.

وهي اختلافات لا تخرج في جملتها عن ما ذكره العلماء في أوجه الاختلاف بين القراءات سواء منها الصحيحة أم الشاذة. أما أثر تلك الاختلافات في المعنى فقد وجدنا أنها تتجه في اتجاهين:

الاتجاه الأول: اختلافات لا يترتب عليها اختلاف في المعنى بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة وأمثلة ذلك كما يلي:

أولاً : الاختلاف في الأصوات

القراءة الصحيحة	السورة	القراءة الشاذة	وجه الخلاف
متكأً	يوسف/٣١	متكاً	عدم الهمز
وعاء	يوسف /٧٦	إعاء	بالهمزة بدل الواو
براءة من الله	التوبة/١	مِنِ	جر الميم والنون
لم ينقصوكم	التوبة/٤	ينقضوكم	بالضاد بدل الصاد
لو استطعنا	التوبة/٤٢	لوْ	بضم الواو
فيه رجال	التوبة/١٠٨	فيهْ	بضم الهاء
بين المرء وقلبه	الأنفال/٢٤	المرَ	عدم الهمز
منْ أجل ذلك	المائدة/٣٢	من اجل ذلك	غير مهموز والنون مكسور
شغفها حبا	يوسف/٣٠	شعفها	با لعين بدل الغين
فنظِرة إلى ميسرة	البقرة/٢٨٠	فنظُرة	سكون الظاء
والبصر والفؤاد	الإسراء/٣٦	الفَواد	بفتح الفاء من غير همز وكسرها وفتحها
السماء ذات الحبك	الذاريات /٧	الحُبْك	بضم الحاء وسكون الباء بكسر الحاء وسكون الباء وبكسر الحاء وضم الباء
إذْ انتم بالعُدْوة الدنيا	الأنفال/٤٢	بالعَدْوة	بفتح العين بدل ضمها
والنخل باسقات	ق / ١٠	باصقات	بالصاد بدل السين
قالت نملة يا أيها النمل	النمل /١٨	نَملة النَمُل	بضم الميم ، وقرىء بضم الميم والنون
وترى الفلك	لقمان/٣١	الفُلُك	بضم اللام
دُحوراً ولهم عذاب	الصافات/٩	دَحوراً	بفتح الدال.
إنس ولاجان	الرحمن/٧٤	جأن	بالهمز
في قلوبهم مَوض	البقرة/١٠	مرْض	بسكون الراء .
فشرد بهم	الانفال/٥٧	فشرذ	بالذال بدل الراء.

تلك بعض الأمثلة لما وقع فيه الاختلاف من ناحية الأصوات بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الاختلاف كثير في كتب القراءات الشاذة.

ثانياً :- الاختلاف في هيئة الكلمات والصيغ والأوزان مما يدخل في المادة الصرفية:-

القراءة الصحيحة	السورة	القراءة الشاذة	وجه الخلاف
وإن خفتم عيله	التوبة/٢٨	عائلة	مصدر على (فاعله)
فاقعدوا مع الخالفين	التوبة/٨٣	الخلفين	بدون الألف
تطهرهم بها	التوبة / ١٠٣	تُطْهرهم	عدم التضعيف
وازينت	يونس /٢٤	أزينت	على وزن افعل
قد أجيبت دعوتكما	يونس/٨٩	دعواتكما	جمع دعوة
أكثرت جدالنا	هود/٣٢	جدلنا	فعال وفَعَل.
في غيابة الجب	يوسف/١٠	غيَابة الحب	بالتشديد فَعَّاله_ بدل فَعاله
بئر معطَلة	الحج/٤٥	مُعْطَلة أعطل	من أعطل – بدل عطَّل
بلسان قومه	إبراهيم/٤	بلسن	فعل بدل فعال
واجنبني وبني	إبراهيم/٣٥	وأجنبني	قطع الألف، أجنب بدل جنب
تفسحوا في المجالس	المجادلة/١١	تفاسحوا	المفاعلة
وكذبوا بآياتنا كذابا	النبأ / ٢٨	كَذبوا كِذابا	فعَل فعال
عطاء حسَابا	النبأ/٣٦	حَسَابا	فَعَّال بالتشديد وفتح الحاء
كذبت ثمود بطغواها	الشمس/١١	بطُغواها	مصدر على فُعلى
ما ودَعك ربك	الضحى /٣	ودعك	ماضي (يدع)
أولئك هم خير البرية	البينه /٧	خيار	جمع خير
إن هذا شيء عجاب	ص /٥	عُجّاب	بالتشديد
إن بيوتنا عورة	الأحزاب/ ١٣	عوره	صحة الواو وتحركها
له معقبات	الرعد /١١	له معاقيب	اختلاف صيغة الجمع
أركسوا فيها	النساء /٩١	رَكَسوا ا فيها	النساء/ ٩١رَكَسوا

وأمثلة هذا النوع من الشذوذ كثيرة كذلك.

ثالثاً:- الاختلاف المتصل بالمسائل النحوية :

هذا الاختلاف يتصل بقضايا النحو من مثل اختلاف اوجه الإعراب بالرفع والنصب والجزم والجر والتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع وزمن الفعل وهيئته والكلمات والجمل والبناء للمعلوم والمجهول والمخاطب والغائب والأسماء والأفعال وغير ذلك من المسائل التي تندرج في علم النحو وهذه بعض الأمثلة :-

القراءة الصحيحة	السورة	القراءة الشاذة	أوجه الاختلاف
وما كان صلاتهم عند البيت	الأنفال/٣٥	صلاتَهم، مكاءُ	نصب صلاة إلامكاء وتصدية ورفع مكاء
فكان أبواه مؤمنين	الكهف/٦٧	مؤمنان	بالرفع بدل النصب
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة	الأنفال /٦٧	الآخرة	بجر الآخرة بدل نصبها
أنؤمن لك واتبعك الأرذلون	الشعراء/١١١	وأتباعُك	الاسم بدل الفعل
أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.	البقرة/	اجمعون	بالرفع بدل النصب
يوم تقلب وجوههم في النار	الأحزاب/٦٦	تقلب وجوههم	بناء الفعل المعلوم ونصب وجوههم

والملاحظ أن أمثلة هذا النوع كثيرة جداً وتطغي على بقية الأنواع.

رابعاً: الاختلاف بين الألفاظ ومن أمثلة ذلك:-

القراءة الصحيحة	السورة	القراءة الشاذة	وجه الخلاف
افلم ييأس الذين امنوا	الرعد/٣١	يتبين	يتبين بدل ييأس
ولأوضعوا خلالكم	التوبة/٤٧	ولأ رقصوا	أرقصوا بدل أوضعوا
لولوا اليه وهم يجمحون	التوبة /	يجمزون	يجمزون بدل يجمحون
إني آراني أعصر خمرا	يوسف/٣٦	أعصر عنبا	عنبا بدل خمرا
فجعلهم كعصف مأكول	الفيل / ٥	تركهم	تركهم بدل جعلهم
والأرض بعد ذلك دحاها	النازعات/٣٠	مع ذلك	مع بدل بعد
فاسعوا الى ذكر الله	الجمعة/٩	فامضوا	امضوا بدل اسعوا
وحرث حجر	الأنعام/١٣٨	حرث حرج	حرج بدل حجر

إن كانت إلا صيحة واحدة	يس/٢٩	زقية	زقية بدل صيحة
وأصبح فؤاد أم موسى فارغا	القصص/١٠	قرعا	قرعا بدل فارغا
فراح عليهم ضرباً باليمين	الصافات/	سفقاً	سفقاً بدل ضربا

خامساً : الاختلاف في ترتيب الكلمات بالتقديم والتأخي، ومن أمثلة ذلك:-

القـراءة الصحيحة	السـورة	القـراة الشاذة
وجاءت سكرة الموت بالحق	ق/١٩	وجاءت سكرة الحق بالموت
فأذاقها الله لباس الخوف والجوع	النحل /١١٢	فأذاقها الله لباس الجوعوالخوف
كشجرة طيبة ثابت أصلها	إبراهيم/٢٤	كشجرة طيبة ثابت أصلها
وهذا النوع أمثلته قليلة جداً		

سادسـاً: الاختلاف بزيادة بعض الكلمات في القراءات الشاذة، ومن أمثلة ذلك:-

القـراءة الصحيحة	السـورة	القـراءة الشاذة	وجـه الخلاف
واذ يرفع ابراهيم القوعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا	ق/١٢٧	ويقولون	زيادة يقولون قبل ربنا
هذا عارض ممطرنا	الاحقاف ٢٤	هذا عارض ممطرنا	قال هود بل هو ماستعجلتم
اقتربت الساعة وانشق القمر	القمر /	اقتربت الساعة وقد انشق	بزيادة قد
وشاورهم في الأمر	آل عمران/١٥٩	وشاورهم في بعض الأمر	بزيادة بعض

سابعاً: الاختلاف بنقص بعض الألفاظ أو الحروف في القراءة الشاذة ومن ذلك:-

القراءة الصحيحة	السورة	القراءة الشاذة	وجه الخلاف
يحاسبكم الله فيغفر لمن يشاء	البقرة/	يغفر	بسقوط الفاء
لتركبوها وزينة	النحل /٨	زينة	بسقوط الواو

لقد تتبع العلماء الأمثلة السابقة التي وقعت فيها تلك الاختلافات بين ما عرف بالصحيح والشاذ من القراءات. وحاولوا رد تلك الاختلافات إلى أصل دلالي واحد في كل قراءة من القراءات وأظهر ابن جنى في كتابه المحتسب أن ما يظهر من خلاف لا يمتد أثره إلى المعنى الذي هو جوهر القضية، وهو أمر يعني أن القراءات الشاذة ليست محل ازدراء وإهمال كما شاع بين الناس منذ قديم الزمان، ومعاذ الله وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله والله تعالى يقول ((وما آتاكم الرسول فخذوه...)) أنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً وأنه أمر الله بتقبله (المحتسب المقدمة).

وسنكتفي هنا بضرب مثالين لنرى كيف تتلاقى الدلالات والمعاني في القراءات المتواترة والشاذة:

القراءة المتواترة: في قوله تعالى "لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً (ولأوضعوا) خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم" التوبة /٤٧.

ووردت القراءة الشاذة (لأرقصوا) بدل (لأوضعوا)، قال أبو الفتح ابن جنى في تعليقه على القراءة الشاذة:

"هذا هو معنى القراءة المشهورة التي هي و لأوضعوا خلالكم"

يقال: وضع البعير يضع و أوضعته أنا أي أسرعَت به، وكذلك الْرقص والرَقصان ،يقال: رقص وأرقصته أنا قال: ياليتني فيها جذع أخيل فيها وأضع كأنني شاة صَدع

وقال حسان :

بزجاجة رقصت بما في دنها رقص القلوص براكب مستعجل

وفي الخبر : فإذا راكب يوضع أي يحث راحلته قال جميل:

بماذا تردين امرأ جاء لا يرى كودك وداً قد أكَلّ وأوضعا

ولا يقال رقص إلا للاعب أو للإبل وشبهت الخمر بذلك" المحتسب/ ١/٢٩٣"

ويتضح من هذا أن الاختلاف لفظي والمعنى واحد والكلمتان مترادفتان يؤكد ذلك ما ورد من شواهد الشعر والنثر.

المثال الثاني :قوله تعالى "إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" (الأنفال /٤٢)

وردت القراءة الشاذة (بالْعَدوة) بفتح العين بدل ضمها ، قال ابن جنى "الذي في هـــذا أنها لغة ثالثة كقولهم في اللبن رِغْوة ورَغوة ورُغوة، ولها نظائر مما جاءت فيها فُعْلة و فِعْلة و فَعْلة، منه قولهم: له صِفوة مالي وصَفوته، وصُفوته، روى ذلك أبو عبيدة .....

وروى الكسائي كلمته بحضرة فلان، وحِضرته وحكى ابن الأعرابي: غَشوة وغُشوة وغِشوة فكذلك تكـــون أيضاً العِدوة والعَدْوة والعُدوة"(المحتسب /١/ ٢٨٠).

وهنا كذلك يظهر أن الاختلاف هو في طريقة نطق اللهجات للكلمات بطرق مختلفة من غير ما تأثير في معنى الكلمة الذي يبقى ثابتاً ومشتركاً في تلك اللهجات على الرغم من اختلافها في ضبط عين الكلمة.

ويمكن لمن يعنى بمثل هذا النوع من الدرس أن يتتبع جملة كبيرة من هذه القراءات الشـــاذة ليجد في نهاية الأمر أن قسماً كبيراً منها يقتصر اختلافه على هيئات الكلمـــات وطـــرق نطقها أو صورها الصوتية دون أن يمتد ذلك إلى تغيير المعنى كما لاحظنا.

وقد كان لابن جني جهد عظيم في تتبع هذا النوع ورده معانيه إلى القراءات المتواترة، على أن ذلك الاختلاف إنما هو اختلاف لفظي تجيزه العربية لا يمتد إلى اختلاف الدلالات وقـــام

برد تلك القراءات إلى أصولها العربية. سواء في جوانب الأصوات أو النحو والصرف مما هو شائع في اللهجات ومباح من قبل شيوخ العربية ومن أمثلة ذلك القراءة التي رويت عن أبي حيوة في قوله تعالى ((أإنا لمردودون في الحافرة)) النازعات، حيث قرأها ""الحفرة"" بفتح الحاء وكسر الفاء من غير ألف، قال ابن جنى في الجمع بين القراءتين:""وجه ذلك أن يكون أراد الحافرة"" كقراءة الجماعة فحذف الألف تخفيفاً كما قال: إلاعَراداً عَـرِدا أي عـاردا (المحتسب / ٢/ ٣٥٠) وهكذا فالقراءتان متفقتان ولكن اللهجات تختلف في طريق النطـق وما يصاحبه، وهنا قسم كبير من القراءات خرّجه ابن جنى على هذا الطريق.

الاتجاه الثاني: أما النوع الثاني من هذه القراءات الشاذة فهو الذي وقع فيه اختلاف بينها وبين القراءات المتواترة وامتد أثر ذلك الاختلاف إلى المعاني وهذه بعض الأمثلة:-

القـراءة المتواترة	السـورة	الشـاذة	نـوع الاختلاف
ويتوبُ الله على من يشاء	التوبة /١٥	ويتوبَ	بالنصب بدل الرفع
يُضل به الذين كفروا	التوبة /٣٧	يَضَلُ	بفتح الياء والضاد
مَغارات	التوبة /٥٧	مُغارات	بضم الميم
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار	التوبة /١٠٠	الأنصارُ	بضم الراء
وعلى الثلاثة الذين خلفوا	التوبة /١١٨	خَلَفوا	بفتح الخاء واللام خفيفة
رسول من أنفُسكم	التوبة /١٢٨	أنْفَسكم	
ثم اقضوا إلى	يونس / ٧١	افضوا	بالفاء من افضيت
فاليوم ننجيك ببدنك	يونس/	ننحيك	بالحاء بدل الجيم
فضحِكت	هود /٧١	فَضَحَكت	بفتح الحاء
وهذا بعلي شيخا	هود/٧٢	شيخُ	بالرفع بدل النصب
واتبع الذين ظلموا	هود/١١٦	وأُتبع	بالبناء للمجهول
جاءوا أباهم عشاء	يوسف /١٦	عُشا	

ما هذا بشراً	يوسف /٣١	بِشرىَ	
والأرضِ يمرون عليها	يوسف /١٠٥	والأرضُ	بالرفع بدل الجر
وظنوا أنهم قد كُذبوا	يوسف / ١١٠	كَذَبوا	بالبناء للمعلوم

تلك بعض الأمثلة لما وقع فيه الاختلاف بين القراءات المتواترة والشـــاذة وترتـــب عليـــه اختلاف المعاني، وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن أثر الاختلاف في المعنى لا بد أن نشير إلى ما لاحظناه من خلال تتبعنا لكتاب (المحتسب) وتخريجاته المذهلة للقراءات الشاذة التي تدل على سعة علمه وتبصره في إرجاع القراءات الشاذة إلى أصول العربية ، لقـــد لاحظنـــا أن القراءات الشاذة التي تتلاقى في المعاني مع القراءات المتواترة إلى درجة التطابق تطغى على القراءات التي تختلف فيها المعاني وربما كان مرد ذلك طبيعة تلك الاختلافات التي تكثر في جوانب الأصوات في القراءات جميعها وتتمثل في طريقة نطق الكلمات من غير إحداث أثر في الدلالات.

أما النوع الثاني الذي ترتب على الاختلاف فيه اختلاف الدلالات فإنه يأتي في مرتبة ثانية .

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح في هذا السياق هو:-

ما طبيعة تلك الاختلافات الدلالية؟ وما اتجاهاتها؟ هل تصل إلى حد التضاد مثلاً؟ أو أن بالإمكان جمعها في حقول دلالية متقاربة؟ وإيجاد قاسم يمكن أن تتلاقى فيه المعاني بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة؟

تلك أسئلة تفرض نفسها وتتطلب الإجابة لكي نتمكن من الخروج برأي سديد في مســـألة المعنى في القراءات الشاذة، وليس من اليسير الإجابة عن جملة هذه التساؤلات التي تضرب بجذورها في عمق البحث الدلالي والبحث عن المعنى الذي شغل الناس من قديم الزمان.

لقد تلطف أبو الفتح ابن جني بذكاء عجيب لبعض تلك القراءات الشاذة و حـــاول إيجاد نوع من التلاقي والصلة بين المعاني في القراءات المتواترة والشاذة على الرغـــم مـــن الاختلافات الظاهرة بينها، وسنرى من خلال الأمثلة الآتية التي ذهب فيها هذا المذهب أنه

كان رائداً في نظراته الدلالية التي يمكن أن تؤسس لعلم دلالة عربي واضح المعالم.

١) قال تعالى " وشاورهم في الأمر "آل عمران /١٥٩"، روى عن ابن عباس أنه قرأ "وشاورهم في بعض الأمر" وواضح من خلال القراءتين اختلاف المعنى بين المشاورة في جميع الأمور أو في بعضها وهو أمر يترتب عليه أثر في كيفية تنفيذ الأمر بالمشاورة، ولكن ابن جني يرى تلاقي المطلبين في القراءتين ويستدل على ذلك بشواهد من اللغة قال ابن جني: "في هذه القراءة دلالة على أنك إذا قلت شربت ماءك – وإنما شربت بعضه كنت صادقاً وكذلك إذا قلت أكلت طعامك وإنما أكلت بعضه ووجه الدلالة منه قراءة الباقين "وشاورهم في الأمر" والمعنى واحد في القراءتين.

ونحن أيضاً نعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يأمر النبي (ص) بقوله "وشاورهم في الأمر" أي في جميعه كشرب الماء وتناول الغذاء وإنما المراد به العاني من أمر الشريعة وما أرسل عليه السلام له.

ومع هذا فقد قال سيبويه في باب الاستقامة والاستحالة من الكلام: فأما المستقيم الكذب فهو قولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، فجعُله إياه كذبا يدلك على أن مراده هنا بقوله: ماء البحر جميعه لأنه لا يجوز أن يشرب جميع مائه. فأما على العرف في ذلك على ما مضى فلا يكون كذباً. (المحتسب /١/١٧٦).

إن ابن جني يرى أن لا تعارض في المعنى بين القراءتين بل هو معنى واحد يدل على ذلك ما ورد من أساليب مشابهة في العربية تتفق في المنطق والعرف مع ما ذهب إليه في معنى القراءتين. وهكذا يُرد المعنى في القراءة المتواترة إلى المعنى في القراءة الشاذة بالأدلة والشواهد ومع ذلك فهذه مسألة خلاف بين فقهاء الشريعة حتى اليوم.

٢) قال تعالى "وأنعام وحرث حجر" الأنعام /١٣٨"قرئ (حِرج) بدل حجر وبين الكلمتين اختلاف –ولكن ابن جني يردهما إلى حقل دلالي واحد وذلك في إطار نظريته في الاشتقاق

الأكبر، الذي يقصد به تقليب الأصل الواحد والمادة الواحدة إلى صور مختلفة يخطمها كلها معنى واحد (أنظر الخصائص /) من ذلك ملك، رجب .....ألخ. ويرد ابن جنى مشتقات المادة (حجر) إلى معنى واحد تلتقي عنده جميع المعاني وهو: الشدة والضيق والاجتماع قال: "من ذلك الحجْر وما تصرف منه نحو انحجر واستحجر الطين، والحجرة وبقيته وكله إلى التماسك في الضيق، ومنه الحَرَج الضيق والحِرْج مثله، والحَرجَة، ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله، ومنه الجحر وبابه لضيقه ..... فإذا ثبت ذلك وقد ثبت _ فكذلك قوله تعالى "حَرْث حِرْج" في معنى حجر، معناه عندهم أنها ممنوعة محجوزة أن يطعمها إلا من يشاءون أن يطعموه إياها بزعمهم".

إن الاعتماد على اللغة وخصائصها في تقريب الدلالات وإيجاد ما يجمعها كان منهج ابن جنى في تخريجه للقراءات الشاذة وتحريرها من ما لحق بها من تهمة البعد عن الفصيح والموروث.

٣) قال تعالى "فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم" (الماعون) قرأها أبو رجاء(يَدَع) بالتخفيف، قال ابن جنى معناه والله أعلم: يعرض عنه ويجفوه فهو صائر إلى معنى القراءة العامة (يَدُعُّ) أي يدفعه ويجفو عليه.

ولن نسترسل في ضرب أمثلة أخرى نظرا لكثرتها ويمكن لمن أراد المزيد الرجوع إلى "المحتسب " ليرى صنيع ابن جنى في هذه القضية الدلالية الصعبة.

على أن هناك قسماً آخر من هذه الدلالات بقي على ظاهره في اختلاف الدلالات بين القراءات المتواترة والشاذة وقد حاول ابن جنى في هذا النوع أن يجد له سنداً من العربية يقوي وجهه ويجيز وروده، دون التعرض لتلاقي معانيه بمعاني القراءات المتواترة.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قوله تعالى "ثم اقضوا إلَيَ ولا تنظرون" (يونس /٧١) والقراءة الشاذة (أفْضُوا إلي) من أفضيت والمعنى في القراءة المتواترة: "ثم اقضوا إلَيَ ولا تنظرون" أي ذلك الأمر الذي

تريدونه بي وأصل و اقضوا من القضاء وهو الإحكام والمعنى أحكموا ذلك الأمر قال الأخفش والكسائي هو مثل وقضينا إليه ذلك الأمر "أي أنهيناه إليه وأبلغناه إياه (فتح القدير/ ٢/٤٦٢).

أما المعنى في القراءة الشاذة (أفضوا) فقد قال ابن جني معناه أسرعوا إلي، وهو افعلت من الفضاء وذلك أنه إذا صار إلى الفضاء تمكن من الإسراع ولو كان في ضيق لم يقدر من الإسراع على ما يقدر عليه من السعة ..الخ.

ونلاحظ أن المعنى الأول هو إحكام الأمر وإبلاغه والمعنى الثاني الإسراع في إبلاغ الأمر، والسرعة في المعنى الثاني زائدة وليست موجودة في معنى القراءة المتواترة. ولم يحاول ابن جني إيجاد صلة بين المعنيين بل سكت عن المعنى في القراءة المتواترة وذلك على الرغم من إشارة بعض المفسرين إلى معنى في القراءة المتواترة يمكن أن يتلاقى بما أورده ابن جني في القراءة الشاذة وهو قول بعضهم إن معنى (اقضوا) امضوا إلي ولا تؤخرون وعدم التأخير يعني السرعة (فتح القدير/ ٢/٤٦٢)

فإذا ما انتقلنا إلى الإجابة عن سؤال آخر حول طبيعة اختلاف المعنى ودرجة العلاقة بين المعاني في القراءات المتواترة والشاذة فسنجد أن علماء الدلالة قد بينوا درجات العلاقة بين المعاني في خمس درجات هي: الترادف و الاشتمال أو التضمن و علاقة الجزء بالكل و التضاد والتنافر و (علم الدلالة / أحمد مختار عمر ١٦٨)

ومعلوم أن العلاقات في الترادف والاشتمال _ وعلاقة الجزء بالكل تبقى علاقات متصلة مع تفاوت في درجات تلك الصلة، أما التنافر فهو النوع الوحيد الذي تنبت فيه الصلات وتتباعد المعاني بعضها عن بعض. فكيف تظهر علاقة المعاني في هذه القراءات؟

لقد أظهر لنا الاستقراء أن غالبية هذه المعاني التي ظاهرها الاختلاف يمكن أن يوجد بينها نوع من الصلة الدلالية بدرجات متفاوتة، ولا شك في أن ابن جني لو تناول هذه

المسألة في جميع ما أورده من القراءات لكان قد وصل بذكائه إلى تجلية هذه الصلات الدلالية. وسوف نضرب بعض الأمثلة لنرى كيف يمكن التدليل على صحة ما نذهب إليه هنا:

١_ قال تعالى "وأُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار" (إبراهيم /٢٣)

قرأها الحسن (أدخلُ) برفع اللام بصيغة المضارع (المحتسب /١/٣٦٩)

وإذن فالقراءة المتواترة هي بالبناء للمجهول والشاذة بالبناء للمعلوم، والصلة بين دلالتي الفعلين واضحة، فأساس الإسناد في الفعل هو إسناد إلى المعلوم لأنه محكوم عليه بقضية والمحكوم عليه لا بد أن يكون معلوماً، ولكنه أحياناً قد يستغنى عن المعلوم لأغراض مختلفة – قد تكون في بعض السياقات أبلغ وأجمل ""انظر باب الحذف في" دلائل الإعجاز"".

والصلة التي تجمع الدلالتين تظهر في الفعل (أدخل) الذي هو محصور في فاعل واحد يفرضه السياق سواء أكان هذا الفاعل مذكوراً أم غير مذكور وإذن لا يترتب على هذا الاختلاف في القراءات اختلاف في أساس المعنى، الذي هو الإدخال ويبقى بعد ذلك ما تضفيه الصياغة اللغوية على المعنى الأساسي في الجملة من معان ثانية.

٢–قال تعالى "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان" (التوبة /١٠٠) قرأها بعضهم (والأنصارُ) بالضم، والمعنى في القراءة المتواترة أن السابقين من الأنصار رضي الله عنهم ورضوا عنه .. الخ.

ويفهم من هذا أن الرضوان مقصور على السابقين من الأنصار دون بقيتهم لأنه معطوف على المهاجرين ولكنه في القراءة الشاذة يصبح أن الأنصار جميعهم يشملهم

الرضوان و الجنة لأنه عطف على (السابقون) فيكون المعنى والسابقون من المهاجرين رضى الله عنهم و أعد الله لهم جنات والأنصارُ كذلك .. الخ. والاختلاف في المعنى هو بين الجزء والكل هل يشمل الكل أو يشمل البعض، والصلة بين المعنيين في القراءتين واضحة.

٣) قال تعالى "إن هذا لسحر مبين" (يونس ٧٦) قرأها بعضهم "إن هذا لساحر"
وقال أبو الفتح إن المعنى في قراءة الجماعة هو: إشارة إلى الفعل الواقع هناك من قلب العصا حية ونحوه.
والمعنى في القراءة الثانية (لساحر) إشارة إلى موسى عليه السلام (المحتسب/ ١ /٣١٦) وليست العلاقة بين المعنيين منبته إذ إن موسى عليه السلام على صلة وثيقة بما حدث له من آيات في ذلك الموقف كانت سبباً في انتصاره على فرعون.

وهكذا يمكن إفراد هذه المسألة المهمة ببحث مستقل للتدليل على أن هناك وشائج دلالية تلتقي فيها القراءات المتواترة بالقراءات الشاذة في معظم الأحوال.
على أن من المجازفة أن يبقى هذا الأمر على إطلاقه فقد وجدنا قراءات اختلفت فيها المعاني وتنافرت و لا تجمعها؛ ومن ذلك قوله تعالى "ولو أرادو الخروج لأعدوا له عُدَةً" (التوبة /٤٦) ووردت قراءة شاذة نسبت إلى صلة محمد بن عبد الملك (عُدهُ) بالهاء وقد عقب ابن جني على هذه القراءة بقوله "إن المستعمل في هذا المعنى (العدة) بالتاء ولم يمرر بنا في هذا الموضوع العُدَ وإنما العُد البثر يخرج في الوجه (المحتسب/ ١/٢٩٢). ولكن ابن جني لم يكتف بذلك وإنما ذهب يبحث لها عن تخريج لغوي طويل في ضوء مسألة الحذف .. الخ وذلك كي يرد القراءة إلى قراءة الجماعة حتى يجد لها معنى.

ومن تلك القراءات قوله تعالى "وجاءوا على قميصه بدم كذب" (يوسف ١٨) قرأها الحسن "بدم كدب" بالدال قال أبو الفتح أصل هذا الكَدَب وهو الفُوقُ، يعني

البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث فكأنه دم قد أثر في قميصه فلحقته أعراض كالنقش عليه (المحتسب /٢/٢٣٥).

وواضح من خلال المثالين السابقين أن المعاني متنافرة يبعد بعضها عن بعض، ولكن ابن جني وقد ألزم نفسه في مقدمة المحتسب أن يجد تخريجاً لغويا لكل قراءة وصلت إليه فإنه يوفي بالتزامه ويحاول إيجاد معان وتخريجات لغوية مسوغة لتلك القراءات تارة وتارة أخرى إيجاد صلات معنوية تلتقي فيها القراءات أيضاً.

ولكن الأمر الذي أغفله ابن جني في تخريجاته هذه هو مسألة احتمال حدوث التصحيف أو السقط في القراءات الشاذة، وهو أمر نشير إليه من غير حذر، ويمكن في ضوئه تخريج كثير من القراءات وردها إلى القراءات الصحيحة، وبخاصة منها تلك القراءات التي وقع فيها الاختلاف بسبب نقط بعض الأحرف، كالقراءتين السابقتين (كدب، كذب) بالدال والذال، (عُدة، عُدَهُ) بالتاء والهاء وقراءات أخرى: ننجَيك ببدنك ، ننحيك) بالجيم والحاء وادّكر بعد (أمة ، أمَه) (وخلقهم وخرقوا له، وحَرَفوا) (فشرد بهم من خلفهم، فشرذ) (ثم لم ينقصوكم، ينقضوكم) بالصاد والضاد (ننشزها، ننشرها) (وقالوا أ إذا ضللنا في الأرض) (صَلَلنا بالصاد والضاد) (ولا يستخفنك الذين لا يوقفون، يستحقنك) (وإنا لجميع حاذرون، حادرون) بالدال والذال. إلى غير ذلك من الاختلافات الناشئة عن نقط بعض الحروف المتشابهة.

ولعل ما يسوغ عدم حذرنا هنا عدم اعتداد العلماء بهذا النوع من القراءات في مسائل العبادة كالصلاة مما لا يترتب عليه تخوف السقوط في المحظور، وإذا ما علمنا أن موضوع نقط الحروف وتمييز المتشابهة منها بالعلامات التي استقرت عليها إلى اليوم إنما تم في زمن متأخر فإن هذا الاحتمال يبقى موضوع نقاش وتأمل.

زد على ذلك أن هذه القراءات إنما وصفت بالشذوذ عندهم بسبب فقدانها شرطاً من الشروط التي توفرت للقراءة الصحيحة فهي إما أن تكون :قد فقدت صحة السند فلم يتصل سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خالفت سنة العربية أو خالفت رسم المصحف، وهذا النقص في الشروط هو الذي جعلها موضع إهمال بين القراء.

وما يلفت انتباه المتتبع لطبيعة المعاني في القراءات المتواترة والشاذة هو عدم وقوع المعاني في موقع التضاد أي أننا لم نعثر من خلال النظر في درجة اختلاف المعنى بين القراءات الصحيحة والشاذة على معنيين وقع بينهما التضاد الدلال. وذلك على الرغم من وقوع الاختلاف الذي اشرنا إليه فلم نجد على سبيل المثال التحليل في قراءة والتحريم في أخرى والنهي في قراءة والإباحة في أخرى وإنما اتصلت المعاني ببعضها بنسب متفاوتة دون أن تقع في التضاد.*"

وهذه ملاحظة جديرة بالاهتمام، لأن نتائجها ربما انعكست على مدى صحة نظرة العلماء إلى هذه القراءات و موقفهم منها، فإذا كان المعنى هو المعيار الذي يجب أن يفصل في النظرة إلى هذه القراءات فإن بالإمكان مراجعة مواقف العلماء ومناقشة الشروط التي رأوا أنها الفيصل الذي يميز القراءات الصحيحة من الشاذة، وإذا ما ابتدأنا بالشرط الأول وهو موافقة العربية فسوف نجد من خلال صنيع ابن جنى في كتاب المحتسب أن هذه القراءات إلا ما ندر منها لها سند صحيح من العربية تتكئ عليه (انظر مقدمة المحتسب).

ولسنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة لذلك، ويمكن لمن أراد الرجوع إلى الكتاب السابق ليرى كيف يمكن رد كل قراءة من القراءات الشاذة إلى أصل عربي صحيح ولم يعدم العلماء مسوغاً يقوي هذه القراءات من نسبة إلى لغة أو من تحليل صوتي أو نحوي أو صرفي (انظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٧٤) مما يعني عدم اضطراد هذا الشرط وأنه بني على أساس غير متين.

أما شرط موافقة رسم المصحف، فقد ناقش العلماء هذا الشرط وصنفت القراءات الشاذة

من هذه الزاوية وبحسب الواقع إلى: قراءات موافقة للرسم العثماني وهي في الوقت نفسه متحدة في الأصل الاشتقاقي – وهذا النوع من القراءات لا غبار عليه ولا نعلم لماذا عده العلماء من الشواذ بهذا الاعتبار.

النوع الثاني: قراءات مخالفة للرسم وهي في الوقت نفسه متحدة في الأصل الاشتقاقي، وهذا النوع إنما هو ناشئ عن التأثيرات اللهجية؛ فهناك لهجات تدغم وأخرى لا تدغم وهناك لهجات تقلب بعض الحروف إلى أخرى؛ فمخالفة الخط ناشئ عن التأثير اللهجي ولكن ذلك ليس بذي أثر في المعنى.

*ورد ذلك بصورة قليلة ومن ذلك ما أورده ابن جنى في قوله (لا تصبين الذين ظلموا) (لتصيبن الذين ظلموا). "انظر المحتسب جزء أول ص ٢٧٧" وقد خرج ابن جنى ذلك بما ينفي وقوع التضاد بين القراءتين.

النوع الثالث: قراءات موافقة للرسم مختلفة في أصل الاشتقاق وهذا ربما كان كذلك ناتجاً عن التأثيرات اللهجية.

أما النوع الأخير: فهو تلك القراءات التي خالفت الرسم والاشتقاق، وهذا النوع ربما كان مرجعه الرواية وصحتها سنداً ومتنا في حالة تدخل احتمالات الرسم، وربما كان ناتجاً عن القراءات التفسيرية (انظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص٢٦٣).

وهكذا يتضح أن مسألة الرسم في القراءات الشاذة يمكن تخريجها في ضوء المداخل والاحتمالات السابقة و لا يقف هذا الشرط أمام مسألة القبول بالقراءة وخاصة وأن مسألة الخط لم تكن تخضع لقواعد ثابتة ومتفق عليها في الكتابة ، ونلاحظ ذلك من خلال الأشكال المختلفة لوضع الحرف الواحد الذي تكرر وروده في أكثر من موضع في القرآن الكريم وفي قراءة واحدة هي قراءة حفص التي بين أيدينا (انظر مباحث في علوم القرآن، الرسم العثماني).

ويبقى أخيراً شرط صحة السند وهذه المسألة بحاجة إلى جهد عظيم لتتبع الأسانيد التي وردت عن طريقها القراءات الشاذة، وخاصة وأن ما لدينا من مصادر هذه القراءات يخلو من إسناد متصل مما يجعل القضية محل احتمال الصحة وعدمها.

ولا نريد أن نذهب إلى القول بإمكانية صحة أسانيد تلك القراءات فالمسألة ليست سهلة ولا يمكن تقريرها بهذه الطريقة لأن مسألة السند وصحته من أهم المسائل؛ إذ عليها يترتب القول بتوقيف القراءات ومسألة التوقيف تترتب عليها أحكام شرعية متعلقة بأفعال العباد.

فهذه مسألة ليست من طبيعة هذا البحث التي تنحصر في معرفة طبيعة المعنى في القراءات الشاذة والصحيحة وهي مسألة لغوية بحتة لا تتصل بقضية توثيق القراءات الشاذة وصحة إسنادها.

على أن ابن جني يشير في معرض دفاعه عن القراءات الشاذة إلى مسألة السند هذه وأن الرواية تعزو كل هذه القراءات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند قوله (غرضنا أن نُرِى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً وانه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه لئلا يُرى مُرى أن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له، ومعاذ الله وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (مقدمة المحتسب/٣٣)، وهكذا يقرر ابن جني أن هذه القراءات مأخوذة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بروايات صحيحة، وما وصلنا عن الرسول فهو واجب الاتباع.

وعلى الرغم من ذلك فإن أمر الإسناد إلى الرسول لا يبقى هكذا على إطلاقه وإنما هو بحاجة إلى بحث وتدقيق وتتبع.

على أن الأمر الجدير بالانتباه في هذا السياق هو ما تثيره كلمة (الشذوذ) من التباس

في المعنى؛ فقد وقر في ذهن الناس اليوم أن الشاذ هو ما خرج عن القـــاعدة الصحيحـــة وخالف الصواب واقترب من الخطأ المرفوض "هذا لدى الدارسين في علوم العربية الواقفين على ما شذ من مسائل في النحو واللغة فضلاً عن معنى الشذوذ لدى الدارسين الآخريـــن بعيداً عن علوم العربية (شيْء من تاريخ العربية بحث مخطوط إبراهيم السامرائي). بيـــدا أن هذا المعنى غير مقصود البتة حال وصف القراءات به وإنما المراد بالشذوذ في القراءات هو الخروج - وهو خروج مقيد والمقصود بذلك أن هذه القراءات شاذة أي خارجة عن قراءة القراء السبعة(انظر مقدمة المحتسب) فليس للشذوذ هنا صلة بالخطأ والغريب والبعد عـــن الصواب، وإنما هو اختلاف وقع بين هذا النوع من القراءات وما عرف بالقراءات السبع. بغض النظر عن الصواب والخطأ في النوعين وذلك لأن هذا النوع من القراءات الموصوفـــة بالشذوذ كما يقول ابن جنى "نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائـــه، ولعله أو كثير منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه".

فمسألة الشذوذ إذن لا يقصد بها الخطأوالغريب وما يخالف الصواب كما قد يتبادر إلى أذهاننا اليوم، وإذا ما نظرنا في الاختلافات الواقعة بين القراءات سواء منها ما وقـــع بـــين القراءات الصحيحة والشاذة، فسنجد أنها في الحالتين خلافات واحدة ومتشابهة.

فأنواع الاختلافات التي سبق حصرها بين القراءات الصحيحـــة والشـــاذة هـــي الأنواع نفسها التي نلحظها بين القراءات الصحيحة نفسها والتي عرفت بالقراءات السبعية ، فقد يكون بين هذه القراءات السبعية اختلاف في الأصوات أو في الصرف أو النحو أو في المعجم أو في التقديم والتأخير .. الخ.

والغريب أن علماءنا القدامى لم يقع في نفوسهم شيء من الارتياب بسبب هٰـــذه الاختلافات.

وأصبحت هذه الاختلافات بين القراءات الصحيحة والشاذة محل رفض وإهمال. فإذا كان

المعَول عليه في المسألة هو أنواع الاختلافات فإن القراءات جميعها تتساوى ولا فرق بين قراءة وقراءة وإذا كان المعَول عليه أمور خارجة وهو ما جرى عليه العلماء – فإن الأمر في هذه الحالة بحاجة إلى إعادة النظرة في هذه القراءات ، وبخاصة إذا ما علمنا أنها قد عزيت أحياناً إلى كبار الصحابة والتابعين الأجلاء من أمثال ابن مسعود و أُبي بن كعب وعلي بن أبي طالب والحسن وغيرهم. على أن مسألة أخرى تثير الغرابة وتبعث التساؤل وهي ما أورده العلماء من قراءات خالفت المشهور من القواعد العربية وعدت مع ذلك قراءات صحيحة.

ونشير هنا إلى قراءة (حمزة) لقوله تعالى "واتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام" بجر الأرحام (النساء /١)، (انظر البحر المحيط)، وقراءة (ابن عامر) وكذلك زُين لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركاؤهم. (الأنعام /١٣٧، فإذا كانت هذه القراءات لا تتفق مع ما هو شائع في قواعد العربية وإنما أتت على أوجه أقل شيوعاً وهي مع ذلك من القراءات الصحيحة، فما الذي يميزها من هذا الوجه من القراءات الشاذة التي رأينا أن لكل قراءة منها وجهاً في العربية تخرَّج عليه؟

وما هو أكثر إثارة للانتباه من هذا ما وجدناه من إشارات مختلفة عند ابن جنى عند تخريجه للقراءات ذهب فيها إلى أن المعنى في بعض القراءات الشاذة أقوى منه في القراءات الصحيحة وأعذب وأجمل.
من ذلك قراءة الحسن "وأُدخُل الذين آمنوا جنات تجري من تحتها الأنهار" برفع اللام (إبراهيم /٢٣) والقراءة الصحيحة (أُدْخِلَ) بالبناء للمجهول، قال أبو الفتح هذه القراءة على أن أُدْخلُ من كلام الله تعالى كأنه قطع الكلام واستؤنف فقال الله عز وجل: (وأُدْخِلُ الذين آمنوا) أي وأنا أدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار بإذن ربهم أي بإذني، إلا أنه أعاد ذكر الرب ليضيفه إليهم فتقوى الملابسة باللفظ، فيكون أحنى وأذهب في الإكرام

والتقريب منه لهم، ومثله في القرآن: قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال "إن وليي الله" فهذا كله تحقق بالله تعالى وتقرب منه وانتساب إليه (المحتسب / ٦١/١) ومثال آخر قراءة ابن مسعود "كلما ردوا إلى الفتنة رُكسوا فيها" مثقل بغير ألف (النساء /٩١)، وقراءة الجماعة (أركسوا) قال أبو الفتح، وجه ذلك أنه شيء بعد شيء فطال فلاق به لفظ التكثير والتكرير كقولك غَلقت الأبواب وقطعت الحبال (المحتسب ١/١)

وثالث الأمثلة على ذلك قراءة الحسن " أصيب به من أساء" الأعراف /١٥٦ وقراءة الجماعة "من أشاء " قال أبو الفتح هذه القراءة أشد إفصاحاً بالعدل من القراءة الفاشية التي هي "من أشاء" لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له، وهو الإساءة والقراءة الفاشية لا يُتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له، وأن ذلك لشيء يرجع إلى الإنسان وإن كنا قد أحطنا علماً بأن الله تعالى لا يظلم عباده وأنه لا يعذب أحداً منهم إلا بما جناه واجترمه على نفسه إلا أننا لم نعلم ذلك من هذه الآية بل من أماكن غيرها وظاهر قوله "من أشاء" بالشين معجمة ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنه يعذب من يشاء من عباده أساء أو لم يسئ نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله وهو حسبنا ولينا. (المحتسب / ٢٦١/١)

وهكذا نجد هذه الإشارات الدلالية الدقيقة في مواضع متفرقة يفصح فيها ابن جنى عن قوة المعنى في القراءة الشاذة وجماله ووفائه بالمراد. وهذه مسألة أخرى تؤكد أن القراءة الشاذة ليست القراءة التي ينبغي نبذها والابتعاد عنها وإنما الشذوذ هو الخروج عن شيء حدده بعضهم واختار القراءة به على نحو ما سبق توضيحه في هذا البحث.

ويزداد الأمر اتضاحاً إذا ما علمنا الظروف التي اكتنفت اختيار القراءات الصحيحة؛ فقد ذكر العلماء أن ابن مجاهد (ت٣٢٤) عمد إلى اختيار سبع قراءات لسبعة من القراء اشتهروا بالضبط والأمانة ودقة النقل وتوفرت لقراءاتهم شروط

القراءة الصحيحة – فذاعت لكثرة القراءات واشتهرت في الأمصار وظن من لا علم له أن هذه القراءات هي القراءات الصحيحة وما عداها فشاذ.

ومعلوم لدى من له إلمام بالقراءات وعلومها أن هذا ظن غير صحيح وقد أشار علماء القراءات إلى ذلك وذكروا قراءات أخرى كثيرة اختارها بعض العلماء وهي قراءات صحيحة توفرت لها شروط الصحة يقول ابن الجزري:

فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول قِل من كثر ونزر من بحر فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين ، وذلك أن القراء الذين.

أخذوا عن اولئك الأئمة المتقدمين السبعة وغيرهم كانوا أئمةً لا تحصى وطوائف لا تستقصى والذين أخذوا عنهم أيضاً وهلم جراً...

فلما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق وقل الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات فكان أول إمام معتبر جمع القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين (النشر /١ /٣٣) وهكذا يتضح أن الاختيار قد وقع على قراءات سبعة من القراء توفرت لها شروط الصحة ولكن ذلك لا يعني أن القراءات الصحيحة محصورة فيهم بل إن قراءات صحيحة أخرى كثيرة قد توفرت لها الشروط ولكن لم يكتب لأصحابها الذيوع والانتشار على نحو ما جرى مع القراء السبعة بل إن بعض العلماء قد خطأ ابن مجاهد في اقتصاره على هؤلاء السبعة وذلك بسبب ما أحدثه لَدى بعض الجهال بالقراءات من التباس وظن بأن هذه القراءات هي القراءات الصحيحة وما عداها فباطل.

وقد حرص علماء القراءات على توضيح مسألة الشذوذ هذه نظراً لأهميتها، وقد

سبقت الإشارة إلى اختلافهم في جواز القراءة بها في الصلاة. وعلق بعضهم على القول بتحريم القراءة بالشاذ بأن ذلك يترتب عليه أن عالماً من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرماً بقراءتهم بالشاذ فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائماً، وهم نقلة الشريعة الإسلامية فيسقط ما نقلوه فيفسد على قول هؤلاء نظام الإسلام والعياذ بالله، (النشر /١ /١٥).

ويتضح من خلال عمل علماء القراءات أنهم كانوا يعنون بالقراءات ورواتها على مختلف طرقها وأنواعها وأنهم ألفوا في كثير القراءات وقليلها ورووا شاذها وصحيحها بحسب ما وصل إليهم أو صح لديهم ولا ينكر أحد عليهم ما في بعض المؤلفات من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم ((فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ولا زعم أنه مخالف للأحرف السبعة بل مازالت علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهاداتهم في إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات)) (النشر /١ /٣٦).

لقد اتضح من جملة ما قدمنا في مسألة القراءات الشاذة أن هذه القراءات يمكن أن يفيد منها البحث اللغوي العربي فائدة كبرى يقوى بها ويتسع موضوع تاريخ العربية اللغوي حيث تكشف عن جوانب شتى مما لم يظهر في المستوى اللغوي المعياري على نحو ما ظهر في كتب النحاة ومؤلفات اللغويين سواء على مستوى الأصوات أو بنية الكلمات أو التراكيب أو الدلالة.

أما قضية المعنى في هذه القراءات فقد اتضح من جملة ما قدمنا أن المعاني في القراءات الشاذة ليست منقطعة الصلة عنها في القراءات الصحيحة بل يمكن لمن له علم بالعربية أن يجد صلات دلالية واضحة على نحو ما رأينا في ضيع ابن جني في كتابه المحتسب، والخلافات الكثيرة بين الصحيح والشاذ إنما في الأصوات وأغلبها خلافات لا يترتب عليها اختلاف في المعنى ، والأهم من ذلك تلك الملاحظات التي أوردها ابن جني وأشار فيها إلى

قوة المعاني في القراءات الشاذة وبلاغة بيانها أكثر مما هو في القـــراءات المتواتـــرة، وهـــي ملاحظات دلالية يمكن أن تفتح لنا باباً واسعاً لدراسة الدلالات في هذه القراءات التي عد كثير منها مساوياً في الفصاحة للمجتمع عليه من القراءات.

تبقى الإشارة هنا إلى أن ما نقصده في هذا البحث ليس التحقيق في مسألة القراءات الشاذة من ناحية إسنادها وماله علاقة بالصحة والشذوذ وإنما قصدنا بـــه الانصـــراف إلى القضايا اللغوية البحتة وهي قضايا تتوفر بصورة غنيَة ووفيرة في هذه القـــراءات ويمكـــن للبحث اللغوي أن يفيد منها وأن يوسع دائرة ما ضيقه اللغويون القدامى وأن يبرهن علـــى أن العربية لغة ذات غنى وقدرة على التوسع والتطور والارتقاء.

المصادر والمراجع

أحمد مختار عمر : علم الدلالة ..... الكويت ١٩٧٨م

البناء ، أحمد محمد: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، تحقيق شعب بن محمد إسماعيل مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة . د.ت.

ابن الجزرى، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، دار الفكر، القاهرة د.ت.

ابن جنى ، ابو الفتح عثمان: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيـــــق على النجدي ناصف و عبد الفتاح شعبى القاهرة ١٩٦٩م.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد: مختصر في شواذ القرآن، نشر برجشتراسر دار الكندي للنشر والتوزيع، الأبد، الاردن د. ت.

الزمخشري، محمد بن عمر: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

السامرائي، إبراهيم: شيء من تاريخ العربية بحث غير منشور.

شاهين، عبـــد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

طارق نجم عبد الله: محاضرات في علوم القرآن، غير منشور.

القاسمي، محمد جمال الدين: تفسير القاسمي، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

القطان، مناع خليل: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت. ط٤